البحث ( ٨ )

# الرسول ﷺ الأسوة الحسنة

أ . د / نجاح عبد الله البياع

أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد بقسم الدعوة

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَنْ
كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾

"سورة الأحزاب الآية رقم : ٢١"

## بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ...

إن الحمد لله ... نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل ، فلا هادى له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ... خلق الإنسان علمه البيان .... والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين وعلي آله وصحبه .. الذين التفوا حوله وساروا على دربه فاختاروا المطعم الطيب والمشرب الطيب .. والملبس الطيب ...

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ... يوم يعض الظالم علي يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا .

**أما بعد ...**

فإن الحاجة ماسة إلي دعاة يفقهون الدعوة الإسلامية حق الفقه، فهم يعيشون في عصر يموج بالاتجاهات الفكرية المتعددة ، التي تريد أن تنال من الإسلام والمسلمين ، وبما أن إسلامنا محفوظ بعناية الله سبحانه وتعالي ، فالواجب علينا :

أن نفقه دعوتنا حق الفقه حتى نكون على مستوي ديننا وحتى ندعو الناس على بصيرة مقتدين بسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والسلام .

* حقاً إننا نعيش مع الرسول صلى الله عليه وسلم موجهاً ومعلماً ولا ريب أن هذه نعمة تستوجب الشكر بل هي من أجل النعم التي يمن الله بها على الإنسان ولذلك كان جيل الصحابة رضوان الله عليهم خير القرون ... وكم كنت أتمنى رؤية النبي صلى الله عليه وسلم

إلا أنني عندما قرأت قوله تعالي: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾

علمت أنه فينا بسنته وتعاليمه وهديه وتوجيهاته (ﷺ) . وما هذه الدراسة التي بين أيدينا إلا تتبع لبعض مواقفه (ﷺ) مستخلصين من ذلك دروسا للدعاة إلى الله عز وجل .

**ونحن نلاحظ :**

على مستوى الشباب .. التنافس الشديد في حفظ السنة النبوية المطهرة الصحيحة ...

لكن أين نصيبنا من السيرة في هذا التنافس .. يكاد يكون ضئيلا إن لم يكن معدوما .

وهذا ما يدفعني إلى تجلية مواطن الأسوة في سيرته (ﷺ) لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا ...

ثم إن هذه الدروس والعبر والعظات من عناصر الدعوة إلى الله تعالى في المنهج النبوي ... وهي تعنى بلوغها حد النضج لما اشتملت عليه من الحكمة ... ومن مظاهر هذا الطيب أنها خالية من العنف إلا في مناسبته وضعا للسيف في موضعه

**نماذج وصور :**

وكان في سيرته (ﷺ) نماذج تطبيقية لهذا النضج وهذه الحكمة نقتطف منها ما يلي :

عن أبي ذر قال دخل على رسول الله (ﷺ) رجل يقال له عكاف ابن بشر التميمى فقال له النبي (ﷺ) يا عكاف هل لك من زوجة قال لا قال ولا لك جارية قال ولا جارية قال وأنت موسر بخير قال وأنا موسر بخير قال (ﷺ) أنت إذن من إخوان الشياطين .. ولو كنت من النصارى كنت من رهبانهم ، إن سنتنا النكاح ، شراركم عزابكم ، وأراذل موتاكم عزابكم ، أبا الشيطان تمرسون ما للشيطان سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرءون من الخنا ، ويحك يا عكاف إنهن صواحب أيوب وداود ويوسف وكرفس ، فقال له بشر بن عطيه ومن كرفس يا رسول الله قال رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة عام يصوم النهار ويقف الليل ثم إنه كفر بالله العظيم بسبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة الله عز وجل ثم استدركه الله ببعض ما كان منه فتاب عليه ويحك يا عكاف تزوج وإلا فأنت من المدبرين قال زوجني يا رسول الله قال قد زوجتك كريمة بنت كلثوم الحميري ) (١)

بهذا المنطق الصارم الذي لم يكن عادة الرسول (ﷺ) توجه به لهذا الشاب .. بل وحكم عليه (ﷺ) وهو الذي لا ينطق عن الهوى بأنه من إخوان الشيطان ...

وكان ذلك لأسباب ذكرها شيخي د / محمود عمارة قائلا :

---

١ – مسند الإمام أحمد رقم ٢٢٠٦٦ عن أبي ذر رضي الله عنه .

**أولاً** : كان عكاف على هذا النحو طاقه معطلة .. لا تقوم بدورها في إعمار الحياة .

**ثانياً** : وعلى فرض أنه صالح مصلح مأمون الانحراف .. لكن الشيطان الرجيم لا ييأس من التحرش به وإيقاعه في حبائله ومنها النساء بما لهن من فتنة .. وإغراء ..

**ثالثاً** : وقد نجح الشيطان المريد فعلا فورط واحدا من الصالحين في الخطيئة وهو يوسف كرفس ويوشك عكاف لو استمر عذباً أن يصل إلى نفس النهاية الأليمة ..

**رابعاً** : ثم إن هناك في زوايا البيوت فتاة صالحة فاتنة يمكن بالزواج أن تبنى مع مثل عكاف عشا جميلا يكون محضنا للأجيال ..

**خامساً** : إذا طلق عكاف فكرة الزواج وكبر عليها أربعا فسوف يكون بهذا الإضراب سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ..

**سادساً** : إذا كان مطل الغنى ظلما .. كما أشار الحديث الشريف فإن مطل الفتى القادر على الزواج أشد ظلما حين يطلق فكرة الزواج لما يترب على ذلك من تدمير طاقتان بالحرمان .. قبل أن محضنا آمنا لأطفالنا وهم غدنا الحر يترقب ....

وربما قلده آخرون في العزوف عن الزواج تقليدا سوف يكون مقدمة لانحرافات كان من الممكن تلافيها بالزواج ذلك الحصن الآمن .. وقت يكون الفتى ملكا يمشي على الأرض ولكن هذه الأرض لا تخلو من شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى

بعض زخرف القول غرورا .. غرورا ينتهي بممارسة الفاحشة التي قد يتورط فيها لما قرر البقاء في العراء.. بلا زوجة تحميه

يعينه على ذلك طبيعة الرجولة ... التي قد تزين للذكر أن يفعل ما يريد ) [١] .

## تعقيب

قد ينال الإنسان باللين ما لا ينال بالشدة كما يقولون ..

إنك لو استعرضت معي سنة الرسول (ﷺ) لحملك هذا على استبعاد هذا الحديث من قول الرسول ﷺ ... لكن الله يعين نبيه ﷺ فهو يخاطب الإنسان بما يصلح حاله .. وينفعه .. لأن البلاغة هي مقتضى الحال ....

ورسول الله (ﷺ) سيد البلغاء وسيد البشر وسيد الدعاة وطبيب النفوس (ﷺ) فإذا به يلمح شابا قويا جلدا يضج حيوية ... ومعه عملة صعبه ( يورو أو دولار ) ولم يتزوج .. أي أنه موسر .. فالمظهر والمخبر يقولان لماذا لم يتزوج ؟؟

وهكذا ينبغي أن يكون الداعية صاحب فراسة قلما تخطئ ..

**الحليلة أم الخليلة :**

الشباب الذي يعرض عن الزواج إنما أنه حصور أو له طرق شيطانية .. توقعه في الحرام فيكون بذلك والعياذ بالله

---

١ - مجلة الأزهر شوال ١٤٢٤ هـ السنة ٧٦ مقال للأستاذ الدكتور محمود محمد عمارة عضو مجمع البحوث الإسلامية .

إبليس نفسه يتحرك بين البشر .. فهل هذا الشباب يريد أن ينتقل من فراش إلى

فراش وهو كالفراشة كما يقولون ... مع أن الله لعن الذواقين من الرجال والذواقات من النساء فإذا بالرسول (ﷺ) يقول :

ويحك وهي كلمة تحذير وزجر وردع وقل فيها ما شئت لماذا ؟ لأن نسبه الغفلة عند هذا الشاب قوية جدا فهو معرض كلية عن الزواج الشرعي الحلال ..

وهذا لا ينفع معه اللين بل هو يريد سوط عذاب يوقظه .. من غفلته التي هو فيها.. بل غارق فيها ويحك إذا لا بد من أن يكون الرسول مع أنه مبشر لابد وأن يكون نذيرا فها هو الإنذار الذي وصل إلى درجة الغليان .. لماذا لأن الشباب نائم وغارق في النوم فلا توقظه بكلمة هادئة وديعة .. يا بني .. لا ثم لا .. بل يحتاج إلى صوت ورعد وبرق .... ( ويحك ) فجاء التعبير مطابقا لحال عكاف ( ويحك ) مع ملاحظة إنك من إخوان الشيطان فاستخدم إن وحرف الخطاب كأنه يقول ذلك مخاطبة لك أنت بالذات ويضاف إلى ذلك إخوان ولم يقل من أصحاب الشيطان ، لأن إخوان ألصق ..

ولاحظ أيضا أنه من إخوان الشياطين كلهم جميعا .. وليس شيطاناً واحد من الإنس والجن .. بل من الكل .

## الرسول المعلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان النبي (ﷺ) يحدث الناس فجاء أعرابي فقال يا رسول الله متى الساعة ؟؟

فمضي رسول الله في حديثه فقال بعض الناس سمع ما قال فكره ما قال وقال آخرون بل لم يسمع ، فلما قضي النبي (ﷺ) حديثه وقال أين السائل عن الساعة قال هاأنذا يا رسول الله قال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة وكيف إضاعتها إذ ا وسد الأمر إلي غير أهله فانتظر الساعة [1] .

قال ابن حجر في الفتح : المراد بالأمر جنس الأمور المتعلقة بدين العزيز الغفور سبحانه وتعالى ..

يراد بهذا الأمر الخلافة العظمى والإمارة والولاية والقضاء والإفتاء وما شاكل ذلك وصار أسعد الناس لكع بن لكع فانتظر الساعة[2] .

يشير الحديث إلى أن هذا الأمر إذا وقع فقد تغير العلم وعم الجهل وانتشر وهذا ما يحصل في آخر الزمان من أمور وتغيرات

كما يشير إلى أن الرسول (ﷺ) لم يضق ذرعاً بالسؤال ...

---

١ – صحيح البخاري كتاب العلم ج ١ ص ٢٥ . .

٢ – فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج ٣ ص ٣٢٥ بتصرف .

ويضاف إلى ذلك إلى أن من حق المعلم : الموجه – الداعية – المرشد – أن يوجه سؤالا إلى التلميذ يوجهه فيه الوجهة المفيدة .... كما كان يفعل الرسول (ﷺ) كأنه يحضر الأجوبة التي تهم المصلحة العامة كما يقول عز شأنه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾

كان ذلك كله منطلقا من القرآن في دعوته (ﷺ) .

يقول د/ الغمراوى :

نبينا محمد رسول الله (ﷺ) أكرم الخلق على الإطلاق ، وأسماهم مقاما وأعزهم شأنا .

كتب في عظمته (ﷺ) المتقدمون والمتأخرون فما بلغوا على اجتهاد المجتهدين منهم كفاء قدره وفضله .

لكن المتقدمين كانوا أكثر من المتأخرين توفيقا ، وأقوم فيما كتبوا طريقا ، وأصدق نظرا ، وأكثر تحقيقا .

وما بالمتأخرين قلة استعداد أو فهم – ولكن بهم غرور وتقليد ، لعله أصل ذلك الغرور : بهم تقليد للمستشرقين فيما كتبوا ، وفي المنهج الذي سلكوا حين عرضوا للسيرة ينقدونها ، وللرسول الأعظم يزنونه – زعموا – ويقدرونه .

وللنقد آفة يؤتى الناقد من قبلها إن لم يفطن لها ، هي شعور الإشراف والاستعلاء على المنقود .

هذه الآفة يصبح قليلها كثيرا وصغيرها كثيرا حين تعرض للناقد في الموضوع العظيم الخطير ، فإذا كان الموضوع هو أعظم المواضيع الإنسانية قاطبة وأكبرها وأخطرها عاقبة ، كموضوع تناول حياه الرسول بالوزن ، وشخصيته الكريمة بالتحليل – زعموا – وبالنقد فإن الغرور القليل المعفو عنه في غير هذا يصبح هنا جرما وإثما ، ويفضي إلى الباطل حتما فإذا اقترن غرور الاستشراق هذا باعتقاد المستشرق من البداية بطلاق دعوة النبي المخالفة لدين المستشرق فقد ركب الباطل باعتقاده هذا ركوبا يحول بينه وبين لقاء الحق ) أ . هـ

قال البزار حدثنا سلمة بن شبيب وأحمد بن منصور قالا: حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان حدثنا أبي عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء قال عكرمة : أراه قال في دم فأعطاه رسول الله ﷺ شيئا ثم قال " أحسنت إليك ؟ " قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كفوا فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال " إنما جئتنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت " فزاده رسول الله ﷺ شيئا وقال " أحسنت إليك ؟ " فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا. قال النبي ﷺ " إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك فقلت ما قلت وفى أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم فقال نعم . فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ " إن صاحبكم كان جاءك فسألنا فأعطيناه ، فقال ما قال وأنا قد دعوناه فأعطيناه فزعم أنه قد رضي كذلك يا

أعرابي ؟ " فقال الأعرابي : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال النبي ﷺ " إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا . فقال لهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإني لو أطعتكم حيث قال ما قال لدخل النار " رواه البزار ثم قال لا نعلمه يروى إلا من هذا الوجه " قلت " وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم . نقلا عن تفسير ابن كثير آخر سورة لتوبة .

## تعقيب

ألا حظ حكم الإمام ابن كثير على الحديث بأنه ضعيف وهو محدث مفسر .. ومع ذلك فإن السادة العلماء يقولون " الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ومع استشعارنا بأن هذا الحديث.

أ – لا يصطدم بالقواعد الكلية للدين .

ب – وله دوره في وصل ما أمرنا الله به .

ج – وفي نظري أنه لا يتعارض مع نص من نصوص الشرع الحكيم فمن هنا نقول :

إن هذا الحوار الذي دار بين الداعية والمدعو .. حقق لنا دروسا نتطلع إليها في مجال الدعوة ...

منها على سبيل المثال لا الحصر :

**أولاً** : الرسول – الداعية سئل فأعطي .. الموجود .. والجود كما يقولون أن تجود بما هو موجود . إلا أن الأعرابي .. فيه من الجفاء والغلظة ما فيه ولذلك سأله الرسول وهو طبيب النفوس .

**ثانياً** : أحسنت إليك وللسؤال مغزى ... إنه يصفي هذه النفس من ظلمة القوة .. والغلظة والقسوة ...

**ثالثاً** : فإذا بالأعرابي يشتاط غضبا ولا أجملت ...

**رابعاً** : وهنا نلحظ رفق الداعية بالمدعو .... واستخدام أسلوب اللين ... مع هذا الجاهل ...

**خامساً** : بعض المسلمين يهموا بتأديب المدعو الأعرابي لا إن الرسول يقول لهم كفوا ... فزاد الأعرابي في العطية بعدما انتقل إلى بيته ﷺ .

**سادساً** : ثم قال له أحسنت إليك فقال الأعرابي نعم ثم دعا الرسول هنا يعمل بقوله تعالى : ﴿ **وأما السائل فلا تنهر** ﴾ وهكذا يجب أن يكون الداعية الراغب في هداية الناس فالرسول يعظ المدعو ... أكثر من مرة حتى يدعو له ... مع ملاحظة أنه لم يستخدم عصا ولا دبابة ولا صاروخا فديننا دين القول اللين والكلمة الطيبة الهادئة الوديعة فإلى الإسلام يا أمة الإسلام .

## جئتكم بالذبح

قال ابن إسحاق إن قريشاً اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم ، فأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوا وآذوه ، ورموه بالشعر ، والسحر ،

والكهانة ، والجنون ... مر بهم رسول الله ﷺ طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول فعرف ذلك في وجهه ﷺ ثم مر بهم ثانية فغمزوه ثم الثالثة بمثلها فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح ، فأخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع (١) .

وقد وصف الله همزهم وغمزهم له ﷺ بقوله سبحانه وتعالي : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٢) .

## تعليق :

إن خطاب الرسول ﷺ شديد اللهجة لماذا ؟؟

لأن قريشاً لم تترك أسلوباً أو وسيلة لإيذاء النبي ﷺ والذين آمنوا معه .. إلا وسلكوها .. فلقد طف الصاع ووصل ضيق الصدر إلي درجة الغليان .. والغضب إلي درجة ١٠٠ % فها هو رسول الله المبشر بالخير لا بد وأن يجمع مع هذه البشارة النذارة فلابد أن يكون نذيراً فكان قوله (ﷺ) لقد جئتكم بالذبح رداً على سفاهة قريش ....

مع ملاحظة اللام وقد للتحقيق وجئتكم أنتم بالذات وكاف الخطاب لكم جميعاً بالذبح .. مع أن ذلك لم يك من أخلاق الرسول إلا أن موضع الندي موضع السيف يكون خطأ فلابد من

---

١ - السيرة لابن هشام ج ١ ص ٣٠٨ بتصرف .

٢ - سورة القلم الآية : ٥١ .

موضع السيف في موضعه فجاء قول الرسول (ﷺ) درساً عملياً لأنه كلام من لا ينطق عن الهوى (ﷺ) .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

هذه صفات ثلاث داخل صفة واحدة فقد كان يكفي ( من أنفسكم ) ذلك أن يكون الداعية من قومه الذين بعث إليهم يجعله أقدر على خطابهم ، لكن في التعبير الأول والثاني إيحاء عاطفي يعجز غيره عن أدائه ( فلان منا ) كافية للتآلف كافية للمحبة ، كافية للثقة ، ( هو جزء منا ) يحس بما نحس به ويحتمل بما نحتمل به ، ويأمل فيما نأمل فيه (عزيز عليه ما عنتم) يعز عليه أى عنت أو ضيق يصيبكم فلا ينام لمصابكم ، ولا يأكل إن جعتم ولا يشرب إن عطشتم ، ولا يلبس إن تعريتم ، فإن القائد الذي فيه هذه الصفات ؟؟

رأيناها في رسول الله (ﷺ) ويتمثلها خلفاؤه .

وعمر أحدهم حيث تمسك بها ، وحاول بعض قادة الحركات الإسلامية أن يكون كذلك .

• حريص عليكم ) حريص على دينكم – وحريص على أنفسكم ، وأموالكم وأعراضكم ، وعقولكم ، فهو يدفع عن هذا كله ويود أن يحفظه لكم ، ( بالمؤمنين رؤف رحيم ) والرأفة والرحمة من جنس واحد ، ولكن اجتماعهما يوحي بالرحمة

---

١ – سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

الحانية والرأفة البالغة ، والإنسان يحب الرحيم ويحب الرؤف ، فكيف بالداعية إن كان رؤفاً رحيماً .. ألا فليتعلم الدعاة كي لا يقضون الناس من حولهم كيف يتخلقون بخلق الداعية الرؤف الرحيم محمد (ﷺ) [1] .

هذه هي أوصاف سيد الدعاة (ﷺ) وعلى الدعاة إلي الله عز وجل الذين يقتدون برسول الله (ﷺ) أن يأخذوا من هذه الصفات بحظ وافر ، وينظروا في القرآن الكريم نظر اعتبار وتدبر ، فيأخذوا من حديث القرآن عن رسول الله (ﷺ) ما يصقل سيرهم في طريق الدعوة إلي الله تعالي ومن المعلوم أن الله عز وجل أوجب علينا طاعة الرسول (ﷺ) ، والذي يخرج على هذه الطاعة مكابر وعاص وصدق الله إذ يقول : ﴿ **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ [2] .

( حريص عليكم ) أى على إيمانكم وصلاتكم .

وقال قتادة : حريص عليكم أى على ضالكم أن يهديه الله (بالمؤمنين رؤف رحيم)

( رؤف بالمطيعين ورحيم بالمؤمنين ) [3] .

---

١ – أصول الدعوة د / علي جريشه ص ٦٦ بتصرف .

٢ – سورة النساء الآية : ١٥٥ .

٣ – مختصر تفسير البغوي ج ١ ص ٣٨٨ .

فها هو الرسول (ﷺ) إمام الدعاة بل سيدهم (ﷺ) يحرص على هدايتنا جميعاً .. ويكره لنا الكفر وينفرنا منه .. وهو أرحم بالناس من والديهم ولذلك وجب علينا الإيمان به (ﷺ) نبيا مرسلا ونعظمه (ﷺ) ونعزره ونوقره (ﷺ) .

مع ملاحظة أن هذه الأوصاف منبثقة من الله الكبير المتعال فهو أرحم الراحمين ورحمته وسعت كل شيء وها هي سور القرآن تتصدر كلها إلا واحدة ببسم الله الرحمن الرحيم .

كما وصف بأنه أرحم الراحمين سبحانه وتعالي في أربعة مواضع .. وهذا عدا المرات الكثيرة التى أضيفت فيها الرحمة لله عز وجل فهيا بنا إلي الرؤف الرحيم ﷺ في توجيهاته ﷺ لصالح الفرد والمجتمع ..

وعلينا أن نتجاوب معه ونتأسى به ونقتدي به كما تجاوبت معه ﷺ الكائنات جميعاً – الجماد – الحيوان – النبات ...

وها هو حنين الجذع من دلائل نبوته ﷺ .

**حنين الجذع من دلائل نبوته ﷺ .**

( عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلي شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار – أو رجل – يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً ؟؟ قال إن شئتم فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلي المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين

الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كنت تسمع من الذكر عندما ) [١] .

قال ابن حجر : وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد خلق الله لها إدراكاً كالحيوان بل كأشرف الحيوان وقيل قد أعطي محمد ﷺ ما أعطي نبي غيره ، فقد أعطي عيسى إحياء الموتى ، وأما محمد ﷺ فقد أعطي حنين الجذع حتى سمع صوته والجذع أصلاً لا يتكلم فهو أكبر من ذلك ) [٢] .

**ونحن في مجال الدعوة :**

نثبت هنا رحابة قلب النبي ﷺ للجميع فإذا كانت الجبال أوبت مع داوود فإن الجذع تجاوب مع رسول الله ﷺ ، وها هو الرسول ﷺ يخاطب الجماد .. بل إن الذئب كلمه ﷺ وهذا كله يثبت أن الرسول ﷺ رحمة للعالمين حتى عالم النبات .. ففي روسيا في العصر الحديث اليوم أثبتوا أن النبات له إحساس وحركه ، وهذا في النبات الحي أما النبات الذي جف فإنه يتجاوب مع رسول الله ﷺ وهذا دليل على عالمية الرسول ﷺ .

## في العقيدة

بدأ الرسول ﷺ دعوته بالكلمة الطيبة .. الهادئة .. فلم يهدد أحداً وحينما جاءه ملأ من قريش يقولون له ...

---

١ - أخرجه البخاري في ك المناقب باب علامات النبوة ج ٦ ص ٦٠١، رقم ٣٥٨٤ .

٢ - فتح الباري لابن حجر ج ٦ ص ٦٠٣ بتصرف .

إن آلهتنا نعرف نسبها ...

فانسب لنا ربك ؟

الجواب الإلهي :

الذي رد عليهم هو الله عز وجل .. بسورة تشتمل على توحيد الأسماء والصفات ...

( عن أبي كعب أن المشركين قالوا للنبي ﷺ يا محمد انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [1] .

هكذا يقف المعاندون للدعوة بالمرصاد .. ويكيدون لها كيداً ومع أن السؤال في غير محله !؟

**تعليق :**

فالقضية هنا قضية عقيدة ، والقوم على غاية ما يكون الضلال والسؤال سؤال الجهال ..

ومع ذلك فإن الداعية أو المربي لا يبخل ولا يضن بتصحيح المفاهيم اعترافاً منه بحق الإنسان في أن يتبين النجدين أيهما أهدى سبيلاً وذلك بمحض اختياره .

## لا إكراه في الدين :

روي البخاري في الجنائز عن أنس رضي الله عنه أنه قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقعد

---

١ - سورة الإخلاص – تفسير بن كثير ج ٤ ص ٦٠٠ .

عند رأسه فقال له أسلم فنظر إلي أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار ) أ . هـ .

**وبالتأمل في ذلك ندرك دروساً منها ما يلي :**

١ - الرسول ﷺ الداعية بل سيد الدعاة لم يفرض عليه الإسلام في بيته هو مع أنه خادمه ..

٢ - ولكنه عرض عليه الإسلام في داره - أى في دار المدعو - والفرق شاسع .. حتى لا يقال هناك .

٣ - جهاز للداعية وظيفته فرض الدعوة على الناس بالإكراه .

٤ - وها هو المدعو ينظر إلي والده اليهودي .. كأنه يشاوره - ما رأيك فإذا به يقول أطع أبا القاسم - ولم يقل محمد رسول الله ﷺ .

٥ - وهو بذلك أطلق الحرية للإبن في هذه اللحظات الحرجه .. إنه مريض ... ورسول ﷺ مع أنه أعظم البشر يعوده ( أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ) .

٦ - وها هو نتيجة الزيارة يسلم الشاب اليهودي بإرادته ... وبدون ضغط .

وهذا يذكرني بموقف الرسول ﷺ من عمه .

روي الشيخان عن المسيب (١) رضي الله عنه أنه لما حضرت أبو طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ يعوده فقال له :

( يا عم قل لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله )

فها هو عم الرسول لم يقل ذلك ولم ينطق بالشهادتين ولم يطع ويتبع رسول الله .. ونحن نتعجب ولكن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ...

﴿ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ ﴾

ولم يغن نسب أبو لهب الشريف عنه شيئاً لأنه لم يدخل الإيمان ولم وينطق بالشهادتين فكان ذلك جزاء وفاقا .. إن في ذلك لعبرة )

إلا أن الله عز وجل أنزل هذه السورة رداً عليهم وهي تشتمل على أوصافه سبحانه وتعالي تدل عليه وعلى حقيقته عز شأنه ، فلا ندله ولا مثيل له ولا سمي له ...

لأنه الواحد المنفرد سبحانه وتعالي ...

له الأسماء الحسني والصفات العليا ..

ذكر العلماء قاعدتين للأسماء والصفات هما : (٢) .

---

١ – المسيب بن حزن بن أبي وهب .. بن مخزوم القرشي نقلا عن الإصابة لابن حجر ج ٣ ص ٤٢٠ .

٢ – سمعت ذلك من علماء المملكة العربية السعودية في ندوة عن التوحيد الخالص في التليفزيون .

الأولي : آية في كتاب الله تعالي هى قوله تعالي : ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) ففي الجزء الأول من الآية (ليس كمثله شيء) نفي سبحانه وتعالي عن نفسه أن يكون مماثلاً لشيء من خلقه ، والجزء الثاني من الآية (وهو السميع البصير) فيه إثبات لاسمين من أسماء الله تعالي ، وذلك يتضمن إثبات صفة السمع والبصر لله عز وجل .

فالجزء الأول من الآية ( **ليس كمثله شيء** ) يرد به على كل من شبه الله أو مثله بخلقه ، والجزء الآخر من الآية (وهو السميع البصير) يرد به على من نفي من صفاته التى أثبتها لنفسه ، وأنه لا يلزم من إثبات الصفات لله التشبيه بخلقه لأنه ليس كمثله شيء .

**القاعدة الثانية في الأسماء والصفات :**

هي ما قاله الإمام مالك رحمه الله تعالي عندما جاءه من يسأل عن صفة الاستواء ، فقال له ما معنى استوي ؟؟

فما لبث أن قال : الاستواء معلوم ( أى معناه في اللغة ) والكيف مجهول ، والإيمان به واجب والسؤال عنه ( أى عن الكيف ) بدعة ، ولا أراك إلا مبتدعا وأمر بإخراجه من المسجد .

هذه القاعدة تطبق على بقية الصفات ، فنقول السمع معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه ، والإيمان به واجب ..

وكذلك الغضب ( معناه معلوم ) والكيف مجهول والسؤال عنه بدعه والإيمان به واجب ..

وهكذا في سائر الأسماء والصفات الثابتة له في الكتاب والسنة الصحيحة من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل أ . هـ

**ويضاف إلى ذلك :**

أن توحيد الأسماء والصفات يقضي أن نؤمن بكل ما سمي الله به نفسه وبما استأثر الله بعلمه .

عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ (إن الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر) [١] .

فالواجب علينا أن نعتقد بأن أسماء الله عز وجل ليست منحصرة في العدد المذكور والدليل على ذلك قول الرسول ﷺ (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاءك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحد من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور بصري وذهاب همي وحزني وها هو نوح عليه السلام

**﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾** [٢] .

---

١ - أخرجه البخاري في صحيحة ج ١١ ص ٢١٤ ك الدعوات وصحيح مسلم ج ١٧ ص ٥ ، ٦ باب الذكر والدعاء .

٢ - سورة هود آية ٢٥ ، ٢٦ .

وها هو هود عليه السلام :

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُفْتَرُونَ ﴾ (١) .

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ (٢) .

﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (٣) .

وها هو إبراهيم عليه السلام يقول لقومه :

﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤)

هذا هو الأساس الذي دعا إليه كل رسول مبلغ عن الله عز وجل لقد جاءت الرسل تترى ترفع هذا الشعار كي تصل المخلوق بالخالق ...

إلا أن الخلق منهم من آمن ومنهم من كفر واتبع شيطانه وهواه .. فقاده ذلك إلي الخسران المبين .. ذلكم لأنه ضل عن

---

١ - سورة هود آية ٥٠ .

٢ - سورة هود آية ٦١ .

٣ - سورة هود آية ٨٤ .

٤ - سورة العنكبوت آية ١٦ .

التوحيد الصحيح .. الذي جاءت الرسل متعاقبة في الدعوة إليه وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

فجميع الرسل ، من أولهم لخاتمهم محمد ﷺ جاءوا بالتوحيد ... فاعبدون أى وحدون .. فعبادة الله وحده لا شريك له .. هي الحق وعبادة ما سواه باطلة .. فكل الرسل جاءوا من أجل التوحيد ... الذي أمر الله عز وجل به .. وأقام عليه دينه وأنزل به كتبه .. وبعث به رسله ...

﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٢) .

﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

**من ملامح المنهج النبوي في الدعوة إلي الله تعالي :**

لما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلي اليمن أمره أن يدعو أهل الكتاب إلي التوحيد أولا فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن معاذاً قال : بعثني رسول الله ﷺ قال ( إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلي شهادة أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض

---

١ - سورة الأنبياء آية ٢٥ .

٢ - سورة الأنعام آية ١٠٢ ، ١٠٣ .

٣ - سورة الأعراف آية ٥٤ .

عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ) (١) .

ويلاحظ أن الرسول ﷺ وجه معاذاً رضي الله عنه إلي البدء بالدعوة إلي التوحيد الصحيح وذلك لأنه الأساس

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

فإذا ضل الإنسان عن التوحيد الصحيح فهو أخسر الناس قاطبة لأنه أسس بناءه على باطل .. على شفا جرف هار .. فانهار به في نار جهنم ....

ومن هنا كان التوحيد دعوة الأنبياء قاطبة فكلهم جاءوا بالتوحيد .. الصحيح ...

( ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً :

١ – أن اعبدوا الله ( وحدوه توحيداً صحيحا ) .

٢ – ( واجتنبوا الطاغوت ) (٣) .

---

١ – أخرجه البخاري في صحيحة في ك الزكاة باب ٤١ ومسلم في صحيحة في ك الإيمان رقم ٢٩ .

٢ – سورة التوبة آية ١٠٩ .

٣ – سورة النحل آية ٣٦ .

وهو كل ما عبد من دون الله عز وجل ) فإذا عبد الإنسان بشراً أو شجرا أو خشباً أو حديداً أو نبياً مرسلاً .. من دون الله يكون قد أشرك مع الله آلهة أخرى .. وضل سعيه وحبط عمله

﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا ﴾ (١)

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢) . ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ ﴾ (٣) .

فكل هذه الآيات تدل دلاله واضحة على أن الكافر يذهب عمله أدراج الرياح لأنه لم يؤسس على التوحيد الصحيح .. بل هو مبني على الكفر والتكذيب .. والباطل البعيد ومن هنا جاء التوجيه النبوي لمعاذ رضى الله عنه بأن يبدأ دعوته بما بدأت به الرسل جميعاً ذلكم لأنه أصل الدين .. ولبه ...

وفي هذه الصدد يقول ابن حجر رحمه الله :

ووقعت البداءة بهما – بالشهادتين – لأنهما أصل الدين الذي لا يصلح شيء غيرهما إلا بهما ، فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين ،

---

١ – سورة الفرقان آية ٢٣ .

٢ – سورة النور آية ٣٩ .

٣ – سورة إبراهيم آية ١٨ .

ومن كان موحداً فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة وإن .كانوا يعتقدون ما يقضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول بنبوة عزير أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم) (١)

فالواجب على الداعية أن يبدأ دعوته .. بالدعوة إلى التوحيد الصحيح – شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ والمطلوب من المدعو أن يفهم معناها وأن يؤمن بها حق الإيمان .. حتى يدرك مقتضي هذه الشهادة ويفهم ما ينقضها حق الفهم .

**الدعوة إلي التوحيد:**

نحن مأمورين باتباع ملة إبراهيم حنيفاً .. لأنه إمام الموحدين الحنفاء .. ولم يك من المشركين .

قال تعالي : ﴿ **قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ** ﴾ (٢) .

---

١ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٥٨ .

٢ – سورة الممتحنة ٤ ، ٥ ، ٦ . .

البراءة من الشرك والمشركين :

ها هو إبراهيم والذين معه من أهل الإيمان يقولون للذين أشركوا

﴿إِنَّا بُرَءَاءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾

يقول ابن كثير

أى تبرأنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أى بدينكم وطريقكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم حتى تؤمنوا بالله وحده أي إلي أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد [١].

أيها المسلم الأساس في الدين قراءة وتنفيذ ذلك فاحذر من موالاة الكافرين .. وها هو إبراهيم عليه السلام تبرأ من الشرك والمشركين .. وتضيف إلي هذه البراءة التصريح بالعداوة كفرنا بكم وظهرت العداوة بيننا وبينكم أبدا.أي على الدوام .. حتى تؤمنوا وتدخلوا في الإيمان ... وهذا من مقتضيات الإيمان ولوازمه.وإلا نكون خائنين لديننا ولنبينا ولإسلامنا ...

فعليك أن تفهم هذا حق الفهم وتحفظه وتعمل به لأن هذا ما يحبه الله عز وجل ويرضاه ...

---

١ – تفسير بن كثير ج ٤ ص ٣٧١ .

## انحراف البشر عن العقيدة الصحيحة

إن الإنسان بفطرته يتعرف على ربه سبحانه وتعالي وهذا شعور مستقر في الإنسان على وجه العموم .. ذلكم لان الإنسان جسد وروح وهذه الروح من أمر ربي ومن هنا لابد وأن يفكر الإنسان في وجود إله يحيي ويميت .. يعطي ويمنع .. يضر وينفع .. يعز ويذل .. وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ...

وجاء الإنسان عبر التاريخ ليعبر عن هذه الحقيقة المكنونة في داخله ولقد حكي القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالي :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

ويقول عز من قائل : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٢) .

ويقول تعالي : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

ويقول عز شأنه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) .

---

١ - سورة الزخرف آية ٨٧ .

٢ - سورة العنكبوت آية ٦٣ .

٣ - سورة لقمان آية ٢٥ .

٤ - سورة الزخرف آية ٩ .

ويقول تبارك اسمه :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

واستمع إلي قوله تعالي :

﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ (٢) .

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري
حتي أريك بديع صنع الباري
الأرض حولك والسماء اهتزتا
لروائع الآيات والآثار
من شك فيه فنظره في خلقه
تمحو أثيم الشك والإنكار

كل هذه الآيات البينات تدل دلاله واضحة على أن العرب كانوا يعترفون بالله الكبير المتعال إلا أنهم لم يوحدوه توحيداً صيحاً فجعلوا معه شركاء بزعمهم وبذلك انحرفوا عن العقيدة الصحيحة ضالين عن التوحيد الحق بعبادتهم لأصنامهم التي اتخذوها وسيلة لهذا الإله الحق..

---

١ - سورة العنكبوت آية ٦١ .

٢ - سورة المؤمنون الآيات ٨٤ : ٨٩ .

وصدق الله إذ يقول :

﴿ وَيَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عندَ اللَّه قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١)

وهكذا أخطأ العرب نحو الإله الحق بقولهم :

﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾

وهذا الانحراف عن التوحيد الصحيح يرجع إلي عدة عوامل منها

١ – الهوي الذي ذكره الله عز وجل في قوله :

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢) .

٢ – عداء الشيطان للإنسان وغوايته له وهذا ما ذكره الله عز وجل في قوله تعالي :

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ (٣).

---

١ – سورة يونس آية ١٨ .

٢ – سورة الجاثية الآية ٢٣ .

٣ – سورة الحجر آية ٣٩ ، ٤٠ .

وقوله في الحديث القدسي : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم ولكنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم " (١) .

وفي هذا الصدد يقول أستاذنا المرحوم الدكتور / رؤف شلبي :

٣ – عجز بعض الناس عن التفكير في عظمة الإله الحق فصنعوا الآلهة الأصنام ليشاهدوا فيها بالبصر ما عجزت عن مشاهدته البصيرة ومن غير شك فإن صناعة هذه الأصنام قد دفع إليها ضرب من الخيال .

٤ – كذلك فإن التعرف على الملائكة والمخلوقات اللطيفة لم تقو عليه عقلية بعض الناس فصوروها على أشكال من الأحجار ليتمكنوا من التواصل إلي تخيلها على الشكل البشري أو أي شكل آخر مخلوق يمكنهم الإحاطة بمعرفته ولهذا جعلوا بعض الأصنام على شكل الذكورة وبعضها على شكل الأنوثة ثم نسيت فكرة الملائكة والمخلوق اللطيف وبقيت الأصنام كفكرة ألوهية تقدس وتعبد بل وتدخل في سلوك عبادها إلي درجة أن معنى التوحيد الصحيح قد تاه في كثافة الضباب الثقيل ومن هنا نشأت عبادة الأرواح والأشباح والطبيعة ثم عبادة الأوثان والأصنام .

ثم يقول دكتور رؤف: مضيفا إلي هذه العوامل عاملاً آخر هو :

---

١ – صحيح البخاري ج ٣ ص ١٧٣ .

٥ – عجز بعض العقول عن إدراك المعجزات والأعمال الخارقة للعادة والبركات التي تجري على يد بعض الناس فقد صوروا هؤلاء الناس على أن روحا إلهية قد حلت فيهم فولدت بذلك الألوهية البشرية أو البشر الإله مثال ذلك عبادة النصارى عيسى بن مريم واعتقاد أنه إله أو ابن الله ومثاله أيضاً عبادة البوذيين تجاه بوذا رغم أن عيسى وبوذا لم يرد عنهم أنهم سموا أنفسهم بالإله ولم يرد عنهم أنهم أمروا أحداً ببناء الأصنام والتماثيل (١).

ومن صور الانحراف التي يعرضها الكتاب العزيز عن التوحيد الصحيح اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله قال تعالي : ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (٢).

٧ – إضافة إلي ما سبق من عوامل يضاف عامل التقليد الأعمى للآباء والأسلاف وإلغاء العقول وتأثير البيئة عليهم ولقد أشار القرآن الكريم إلي شيء من ذلك فقال عز شأنه :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

---

١ – التفكير الديني في العالم قبل الإسلام مطالعة في مكتبة العلماء الملايو – تحقيق أ . د / رؤف شلبي ص ٣٣ دار الثقافة – الدوحة .

٢ – سورة التوبة آية ٣١ .

٣ – سورة البقرة آية ١٧٠ .

فقلدوهم في الإلحاد والكفر والعناد وألغوا عقولهم وورثوا الكفر عن الآباء والأجداد ولعل في حديث الرسول (ﷺ) ما يشير إلي ذلك حيث يقول : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يشركانه " [١].

فللو الدين أثرهما البالغ سلبا وإيجاباً ..

مع ملاحظة أنه لم يدخل عصر من العصور إلا وكان فيه من يوجد الله ويعبده ويفكر في وحدانيته سبحانه وتعالي .. والجزيرة العربية كانت تجمع مشتجر الأديان .. ووجود الحنفاء أحد العوامل الأساسية التي تهيئ الجو لاستقبال الدعوة الإسلامية على يد منقذ الإنسانية سيدنا محمد (ﷺ) .

لقد اشترك الحنفاء في البحث عن التوحيد الصحيح ونظروا في هذا الكون نظرة تأمل واستنتجوا منه الدلائل القوية التي تثبت وحدانيته سبحانه وتعالي .

حقا تحركت عزيزة التدين في طبائعهم حتى إنهم ينتظرون بفارغ صبرهم ظهور سيدنا محمد (ﷺ) .. فآمن به من كان حيا منهم .. وحسن إسلامه ... " [٢].

---

١ - صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ج ٨ ص ٥٣ .

٢ - راجع في ذلك أديان العرب قبل الإسلام د / نجاح عبد الله البباع بحث منشور بحولية الكلية ١٩٩٨ م .

## نموذج لمناقشة من ينكر الألوهية :

حاور الحق تبارك وتعالى الذين أشركوا بطريقة الإقناع فأخذ يسألهم من خلق السماوات والأرض ومن يرزقكم ومن يرسل الرياح ومن يمسك السماء أن تقع على الأرض فقال عز شأنه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١)

إذا فهم يعترفون بوجود الله عز وجل وهذا لا خلاف فيه ، ولكنهم اختلفوا في وحدانيته وإفراده تعالى بالعبادة .. فهم يعترفون به خالقاً ولكنهم للأسف لا يرتبون على هذا الاعتراف نتيجة بل أخذوا يقولون كما حكي القرآن الكريم قولهم : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٢) . وقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (٣) .

فأخذ الحق تبارك وتعالي يلفت نظرهم إلي قدرته سبحانه وتعالي وإبداعة في خلقه .. وبالتالي عجز هذه الآلهة المزعومة قال تعالي : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ (٤) .

ويقول عز شأنه : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾(٥)

---

١ – سورة الزخرف آية ٨٧ .

٢ – سورة ص آية ٥ .

٣ – سورة الزمر آية ٣ .

٤ – سورة الأعراف آية ١٩١ .

٥ – سورة النحل آية ١٧ .

هل هذه الأوثان تملك لكم نفعاً أو ضراً أو رزقاً يقول الله عز وجل : ﴿ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [١] .

وأخذ القرآن الكريم يبكتهم ويستخرج من أنفسهم الاعتراف بوحدانيته سبحانه وتعالي : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [٢] .

ويلاحظ أن الله عز وجل يلفت نظرهم إلي صفاته سبحانه وتعالي لأن ذاته لا تدرك والرسول (ﷺ) يقول تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتضلوا " [٣] .

وهذا هو الواضح أيضاً من جواب سيدنا موسى عليه السلام رداً على سؤال فرعون وما رب العالمين ؟ فقال : " رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين "

تنبيها على أن ذاته سبحانه وتعالي لا تدرك إلا بذكر صفاته سبحانه وتعالي ...

---

١ - سورة الأعراف الآيات ١٩٢ : ١٩٤ .

٢ - سورة يونس الآيات ٣١ ، ٣٢ .

٣ - حديث صحيح .

نموذج للمناقشة والمجادلة مع أهل الكتاب

لقد كان من أبرز صور المناقشة والمجادلة بالتي هي أحسن ما حدث بين وفد نجران ورسول الله (ﷺ) .

يقول ابن إسحاق :

" وقدم على رسول الله (ﷺ) وفد نصارى نجران ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم في الأربعة عشر منهم ثلاثة نفراً إليهم يئول أمرهم العاقب أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيه واسمه المسيح والسيد لهم ثمالهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأبهم وأبو حارثة ابن علقمه أحد بني بكر بن وائل ، اسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم ..

ثم يقول ابن إسحاق : لما قدموا على رسول الله (ﷺ) المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلي العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأرديه ، في جمال ورجال بني الحارث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي يومئذ ما رأينا وفدا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله يصلون فقال رسول الله (ﷺ) دعوهم فصلوا إلي المشرق [1] .

ويضيف صاحب الطبقات قائلاً أنهم :

" أتو النبي (ﷺ) فأعرض عنهم ولم يكلمهم فقال لهم عثمان ذلك من أجل زيكم هذا فانصرفوا يومهم ذلك ثم غدو بزي

---

١ – السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٣٧٨ بتصرف .

الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم إلي الإسلام فأبوا وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن وقال رسول الله (ﷺ) إن أنكرتم ما أقول لكم فهلم أباهلكم (١).

فقالوا يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما تريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، فانصرفوا ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ماذا تري فقال والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم يعني عيسى ولقد علمتم ما لا عن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنه للإستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا إلي بلادكم فأتوا رسول الله فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وأن نتركك على دينك (٢).

فصالحهم رسول الله على الفئ حله وعلى عارية من الدروع والرماح والبعير والجياد ، وعلى أن لنجران وحاشيتهم جوار الله وذمه محمد (ﷺ) على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم وانهم رجعوا إلي بلادهم فلم يلبث السيد والعاقب أن عادا إلي النبي وأسلما (٣).

---

١ – الطبقات الكبرى لابن صق ج ٢ ص ١٢١.

٢ – السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٤٥٠.

٣ – الطبقات لابن سعد ج ٢ ص ١٢٢.

وأنزل الله عز وجل في ذلك قرآنا .. صدر سورة آل عمران إلي بضع وثمانين آية منها [١] .

لقد قرر الله عز وجل في بدء السورة انه لا معبود بحق سواه وإنه الحي الذي لا يموت ، وهو القيوم الذي يدبر شئون الكون وهو بذلك يصحح ما حرفته أهواء البشر ويرد عليهم كيدهم في نحورهم فهو حي لا يموت سبحانه وتعالي وعيسى صلب أى مات على ما تعتقدون ، فاتقوا الله ووحدوه .

## تعقيب

الأصل في توجيهات الرسول (ﷺ) القرآن .. وباستقراء موقف أهل نجران نري أن الرسول (ﷺ) أعرض عنهم فما دلالة هذا الإعراض ؟

إنه استشعار منه (ﷺ) ( الداعية ) عن بعد للتأكد من أن الحوار سيؤتي أكله أم لها لا .. مما يؤكد أن للموعظة زمانها المناسب فلقد أعرض حتى لا يكون الجدال عقيما .. فلما رأى الإصرار دخل معهم يا أبا القاسم إذا كان الداعية شخصية مهيبة فإنه يفرض احترامه على خصومه بدليل أنهم لم يقولوا له يا محمد وإنما كنوه تكريماً يا أبا القاسم

مما يؤكد الدخول في حوار مع وفد نجران أنه كان يضم الصفوة بمعني ( أنه يمكن أن يؤثر الواحد في ألف )

وكما يقولون : رجل ذو همة يحي الله به أمة

---

١ - السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٨ بتصرف .

لاحظ قول الرسول ﷺ للداعية ( إن هم ) لماذا حتى لا يصاب الداعية بالإحباط ..

وعن شيخي الدكتور محمود عمارة يقول :

في المجال العسكري إن الصاروخ إذا انطلق من قاعدة صلبة أصاب الهدف وإلا إذا انطلق من قاعدة رخوة رجع إليها فدمرها تدميراً أ . هـ .

فها هو الداعية ينطلق من قاعدة صلبة صحيحة فالله هو الذي أرسل رسوله ﷺ بالهدي ودين الحق وهكذا أرسل رسول الله ﷺ معاذا إلي اليمن ناصحاً له وموجها إن هم أطاعوا .. إذا هنا مقدمة ألا وهي العقيدة والنتيجة هي الاستجابة .

تنتقل إلي ما بعدها وهكذا رتبوا على المقدمات النتائج :

ثم إن الرسول ﷺ في وصيته لمعاذ كان قرآنياً .. ملاحظاً ( إلا بالتي هي أحسن ) .

ثم إن توجيهاته لمعاذ منبثقة من فعله ﷺ ومن القرآن الكريم قبل فعله ....

فطالبهم بالتوحيد .. أولاً لأنه القاعدة الذهبية ثم الصلاة بشرط طاعتهم وكذلك الزكاة ...

ولكنه ﷺ حذره بقوله ( إياك وكرائم أموالهم ).لماذا ؟؟

لأنهم حديثوا عهد بالإسلام فحينما نأخذ منهم المال وهم يحبونه حباً جما ربما رجعوا وارتدوا والعياذ بالله ...

وهكذا تجاوب مع النفس الإنسانية .. من واقعية المنهج الإسلامي أن لا يصطدم مع النفس البشرية في أعز ما تملك .

ولكن هنا سؤال يفرض نفسه

ما حدود هذا التوجيه ؟؟

أن من يتبرع بالكريم فالإسلام يرحب به بذلك لأنه الاستثناء من القاعدة التي هي إياك وكرائم أموالهم لكنه لو جاء بأعز ما يملك طائعاً .. متبرعاً .. متصدقاً فأهلا ومرحباً .

( لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ) سورة آل عمران

**شهادة من مشرك :**

وها هو عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه – عندما كان مشركا وفاوض النبي ﷺ في صلح الحديبية .. رأى من أصحاب رسول الله ما لم يره من قبل فرجع منذراً قومه وعشيرته

يا قوم : ( والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسري والنجاشي – والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره

، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ) [١].

وإذا كانت هذه شهادة الأعداء فإليك الاحباب والأصحاب رضي الله عنهم أجمعين .

إليك سعد بن الربيع وما أدراك ما سعد بن الربيع لقد طعن في غزوة أحد ما يقرب من ثمانين طعنه ومع ذلك انظر ماذا ترى ؟؟

لقد أرسل الرسول ﷺ زيد بن ثابت يبحث عن سعد ابن الربيع في القتلى قال : ( فأخذت أطوف بين القتلى ، فوجدته في آخر رمق ، به سبعون ضربة ....

ما بين طعنه برمح – وضربة سيف – ورمية بسهم – فقلت له يا سعد إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك خبرني كيف تجدك؟؟

قال على رسول الله السلام وعليك السلام قل له يا رسول الله أجدني أجد ريح الجنة وقل لقومي الأنصار ، لا عذر لكم عند الله إن خلص إلي رسول الله وفيكم عن تطرف يطرف – أصله منبت الشعر في الجفن – قال وفاضت نفسه رحمه الله ) [٢] . من وقته كما جاء في زاد المعاد ج ٢ ص ٩٦ .

فليتأمل الدعاة عليهم يصلون إلى ما يؤملون

---

١ – أخرجه البخاري ج ٣ ص ١٧٨ رقم ٢٧٣١ وفتح الباري لابن حجر ص ٣٨٨ .

٢ – أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٠١ وقال صحيح الإسناد .

## مظاهر اللين في المنهج النبوي

إننا لو تتبعنا مراحل التاريخ لوجدنا الدعاة المخلصين على مر العصور قد التزموا منهج الله عز وجل وسنة رسوله (ﷺ)

جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري قال : بعثني رسول الله (ﷺ) ومعاذا إلي اليمن فقال :

" ادعوا الناس وبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا " [١].

يقول بن حجر :

" يظهر لي أن النكتة في الإتيان بلفظ البشارة وهو الأصل وبلفظ التنفير وهو اللازم وأتي بالذي بعده على العكس ، للإشارة إلي أن الإنذار لا ينفي مطلقاً ، بخلاف التغير فاكتفي بما يلزم عنه الإنذار وهو التنفير فكأنه قال إن أنذرتكم فليكن بغير تنفير كقوله تعالي : ﴿ **فقولا له قولا لينا** ﴾ وفيما اتفق عليه الشيخان من حديث انس مرفوعاً "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" [٢]

**من فقه الحديث** : يشير الحديث إلي خطة الإسلام المثلي في الدعوة الخارجية .. والتي تستلزم أسلوباً خاصاً لأن دعوة المسلم العادي غير دعوة من يعتنق ديناً من حيث دعوته إلي خبرة خاصة .....

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ك المغازي ج ٣ ص ٣٤ .

٢ - صحيح مسلم ك الأشربة حديث رقم ٧١ ج ٣ ص ٣٦ .

- ومن أجل نجاح هذه المهمة اختار لها الكفء وهو معاذ بن جبل ... فلم تك تصلح إلا به .. ولم يك يصلح إلا لها

**ونلاحظ من ملامح الخطة النبوية ما يلي :**

١ – قدرته (ﷺ) الفائقة في اختيار رجال المهمات الصعبة

٢ – سلاح الداعية هنا هو الكلمة بكل ما تحمله من إيحاء وتأثير فهي كلمة حانية باللسان وليس بالسنان .. بالحوار وليس المواجهة ...

٣ – الجمع بين الترغيب والترهيب يسرا بشرا تطاوعا .

٤ – تقديم الترغيب في الذكر لماذا ؟؟

لأن الإنسان أسير الإحسان

وهذا هو الأساس القرآني فإذا كان الله عز وجل الخالق يريد بنا اليسر فلماذا نشق على أنفسنا ؟؟

كيف والآيات تؤكد ضرورة التيسير قال تعالي : **﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾** (١) . **﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾** (٢).

---

١ – سورة الحج آية ٧٨ .

٢ – سورة البقرة آية ١٨٥ .

بالإضافة إلي أن الداعي ينبغي ألا يتجاوز حدود وظيفته فهو رسول مبلغ وليس جباراً عنيداً أو شيطاناً مريداً .. فعليه أن يلتزم أصول الدعوة ويحرص على هداية الناس ...

حقاً وصدقاً السماحة واليسر هما طابع الدين الإسلامي وهما السبيل إلي رسول الله (ﷺ) في طريق دعوته بهذا التيسير وبهذه السماحة استطاع أن ينشر دعوته (ﷺ) في الآفاق ...

إننا نري الرسول (ﷺ) حينما بعث معاذا وأبا موسى الأشعري إلي اليمن ليدعوا الناس إلي الإسلام لم يعطهما سيفاً .. ولا رمحاً .. ولا صاروخاً ...

ولم يأمرهما بإيذاء أحد ولكنه أوصاهم بالمنهج التربوي الكامل الشامل .. الذي يسير عليه الدعاة في كل عصر ومصر .. أوصاهم بوصية جامعة تحتوي على مؤهلات الداعي إلي الله تعالي ....

وهاك أول شرط من شروط هذه الوصية :

١ – يسراً ولا تعسراً

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [١] .

قال الشعبي : ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرها إلا كان ذلك أحبهما إلي الله عز وجل أ . هـ .

---

١ – سورة البقرة آية ١٨٥ .

**من الصفات التي يجب أن يتصف بها الداعية :**

أن يخاطب الناس برفق ولين وسعة صدر ، والإسلام يسر كله قال النبي (ﷺ) : " إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق " (١)

لأن الناس يأنفون من التشدد والغلظة والقسوة والخشونة :

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢).

## من توجيهات القرآن

لكن بعض الدعاة هداهم الله يلجأون إلي السب والشتم خصوصاً إذا تكلم مع غير المسلمين وقد نبه الله إلي هذا في قوله تعالي : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٣).

**قال قتادة :**

" كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلاً يسبوا الله فإنهم قوم جهلة ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني الأوثان فيسبوا الله عدوا أي اعتداء وظلما بغير علم ، لما نزلت هذه الآية قال الرسول لأصحابه لا تسبوا ربكم فأمسك المسلمين عن سب آلهتهم ، وظاهر الآية وإن كان نهيا عن سب

---

١ - مسند الغمام أحمد ج ٣ ص ١٩٩ .

٢ - سورة الحج آية ٨٧ .

٣ - سورة الأنعام آية ١٠٨ .

الأصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالي لأنه سبب لذلك زينا لكل أمة عملهم أي كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم الخير والشر والطاعة والمعصية ثم إلي ربهم مرجعهم فينبئهم ويجازيهم بما كانوا يعملون " (١) .

وها هو الله عز وجل يقول لموسى وهارون : ﴿ **فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى** ﴾ (٢) .

ويلاحظ في الآية :

أن القول اللين مظنة لأن يرجع المخاطب عما عنده من أفكار معارضة ، وأن يصل إلي الخوف من الله عز وجل لأن منازلة الحق باطل وطغيان ، ولهذا أرشد الإسلام إلي هذه الطريقة المثلي وهي اللين الذي يجذب القلوب إلي خطبة الخطيب أو حديث المتحدث أو دعوة الداعي ...

فليحذر الداعية من أن يثقل على المدعو ويشدد عليه ، وإياك أن تخاطب الناس وتتطاول عليهم كأنك مميز عنهم ...

وهنا أتذكر أن التوجيه النبوي الشريف الذي يقول فيه الرسول (ﷺ) : " وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيقهون " (٣) .

---

١ - مختصر تفسير البغوي ط ١ ص ٢٦٦ .

٢ - سورة طه آية ٤٤ .

٣ - سنن الإمام الترمذي في كتاب البر والصلة ج ٤ ص ٣٧٠ .

قالوا يا رسول الله ما والمتفيقهون قال المتكبرون .

انظر معي إلي مسئولية الكلمة وانظر كيف شدد الرسول ﷺ النكير على من يترك للسانه العنان أو يتكلف الحديث تكلفاً

عن أبي هريرة (ﷺ) قال : قال رسول الله (ﷺ) : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم " (١) .

فالداعية يجب أن يتنزه عن الكلمة الخبيثة ويفطن لما يصدر عنه من قول ، ويتزود من الكلام الحسن والفعل الحسن ، وعنده الشهادتين هما أصل الدين الإسلامي .

" الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما فمن كان من المدعويين غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين ، ومن كان موحداً فالمطالبة له بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة ، وإن كانوا يعتقدون ما يقتضي الإشراك أو يستلزمه كمن يقول بنبوة عزيز أو يعتقد التشبيه فتكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم " (٢) .

إذا على الداعية أن يستمسك بأصل الكلام الطيب ألا وهو التوحيد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله (ﷺ) ويشرح للناس مفهومها في سهولة ويسر فالعاقل الحصيف هو

---

١ - أخرجه الإمام البخاري في صحيحة في باب حفظ اللسان .

٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٥٨ .

الذي لا يشدد على الناس وييسر أمورهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم ، وها هو قدوتنا رسول الله (ﷺ) يأتي إليه رجل قائلاً " مرني بأمر ولا تكثر على حتى أعقله قال الرسول (ﷺ) له لا تغضب فاعاد عليه قال : لا تغضب " (١) .

فاحرص أيها الداعية على أن يعقل الناس ما تنقله إليهم وإياك أن تتحدث بالكلمة إلا بعد أن تعرضها على عقلك وقلبك وتفكر في عاقبتها ونتائجها والعناية بذلك هي إغلاق لأبواب الشر ، وهي من النصيحة التي أوجبها الله علي المسلم وهي أيضاً من التواصي بالحق والتواصي بالصبر ...

**لا للجمود والقسوة :**

الداعية إلي الله تعالي ينبغي أن يكون رقيق المشاعر يحترم مشاعر الناس ، ولقد كان الرسول (ﷺ) يحترم الناس جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم وأديانهم وما فرض الدعوة بالقوة ولا بالسيف على أحد : ﴿ **نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ** ﴾ (٢) .

**منهج الدعوة كما جاء في الآية الكريمة :**

نفي الله سبحانه وتعالي عن رسوله صفة القسوة والغلظة والشدة والجمود والخشونة لأن هذه الأوصاف لها أثرها على

---

١ – مسند الإمام أحمد ج ٢ ص ٣٦٢ .

٢ – سورة ق آية ٤٥ .

الدعوة بلا ريب ولذلك قال الله لرسوله (ﷺ) ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ سورة ق .

" كقوله بمسيطر أي ما أنت بمسلط عليهم إنما أنت داع وباعث وقيل هو من جبره على الأمر بمعني أخبره أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الإيمان فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله إنما أنت منذر من يخشاها لأنه لا ينفع إلا فيه " [١] .

وتلك كانت أخلاقه (ﷺ) وها هو القرآن يتحدث عنها ومن أصدق من الله حديثاً لا أحد بالطبع يقول الله عز شأنه : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [٢] .

" قوله تعالي فبما رحمة من الله أي فبرحمة من الله لنت لهم أي سهلت لهم أخلاقك وكثرة احتمالك ولو كنت فظا يعني جافيا سيئ الخلق قلي الاحتمال غليظ القلب : قال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لا نفضوا من حولك أي نفروا وتفرقوا عنك " [٣] .

والآية واضحة في إزكاء نفس النبي (ﷺ) وتنزيهه عن الغلظة والخشونة والقسوة والجمود لما لهذه الصفات السيئة من أثر سيئ في سير الدعوة .. فإذا خالف الداعية هذا المنهج الرباني انفض الناس من حوله .. وتركوه وحيداً في الميدان ..

---

١ – تفسير الإمام النسفي ج ٤ ص ١٨٢ .

٢ – سورة آل عمران آية ١٥٩ .

٣ – مختصر تفسير البغوي ج ١ ص ١٤٦ بتصرف .

إن الله عز وجل لم يكلف رسول الله (ﷺ) بأن يجبر احداً على الإيمان والهدي بل إن وظيفة الرسول هي البلاغة والبلاغ فقط : " فإنما عليك البلاغ " وهكذا بأسلوب القصر فلا تشديد ولا غلظة ولا فظاظة ولا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تعسير بل تيسير ورفق ورحمة ولين فالدين متين فأوغلوا فيه برفق أيها الدعاة أليس التيسير أولى من التشديد وأحق بدليل نهي الرسول ﷺ بقوله ولا تعسروا وهذا مطلق في جميع الأحوال وإذا كان هذا هو منهج الإسلام في أسلوب الدعوة فلم نخترع نحن التشنج والتعصب بحجج واهية فنفسد أكثر مما نصلح ..

الواجب علينا أن نتبع ولا نبتدع ونتحاشى رمي المسلم بما يكرهه ، أو يعيبه فننصحه أمام الناس جهرة فنفضحه ونكون بذلك عوناً للشيطان عليه بل علينا أن نسلك طريق الإقناع ومنهاج الرسول وهو طريق المودة والرحمة والألفة والخير ومن زاغ عنه هلك فضل وأضل

**تربية وتعليم :**

انظر معي إلي توجيه الرسول (ﷺ) للأمة كلها في ضوء هذا الحديث الذي يقول فيه : " لا يحل لمسلم أن يشير إلي أخيه بنظرة تؤذيه " (١) .

ها هو الرسول (ﷺ) يضع القاعدة العريضة التى تخدم الفرد والمجتمع .. وها هي الخدمة الاجتماعية الأصلية ..

١ – إحياء علوم الدين ج ٢ ص ١٩٥ طبعة دار الحديث .

من المعلوم أن الله وحده هو الذي يحلل ويحرم في كتابه الكريم أو على لسانه الأمين (ﷺ) فجاء الحديث بلفظ لا يحل لمسلم كي يفيد أن هذا العمل منكر ولا ينفع في إزالته إلا هذا اللفظ ( لا يحل ) أن يشير مجرد الإشارة إذا هو في مرحلة التفكير – الشعور ولم ينتقل إلي مرحلة النزوع التي هي الفعل .. وهذه الإشارة التي تؤذي قد تكون باليد او بالرأس أو بالعين .. أو بهز الجسد ككل .. لكن الحديث الشريف خص النظرة لما لها من خطر في فساد القلوب ...

كما يلاحظ – علي أخيه – في الدين والإنسانية فإياك أن تجرح وتهدم هذه الأخلاق الإنسانية ...

**من مؤهلات الداعي لله بشروا ولا تنفروا** " الواجب على كل مسلم نصب نفسه للدعوة إلي الله تعالي أن يكون أهلا لهذا العمل فلا أحد أحسن منه قولا وصدق الله إذ يقول :

**﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾** (١).

"أى لا أحد أحسن مقالاً ممن دعا الناس إلي عبادته تعالي وكان من الصالحين المؤتمرين والمسلمين وجوههم إليه تعالي في التوحيد"(٢)

---

١ – سورة فصلت آية ٣٣ .

٢ – تفسير الشيخ القاسمي ج ١٤ ص ٢٧٣ .

لقد أعلي الله عز وجل شأن الدعاة المخلصين المتحمسين للدعوة الذين جعلوها همهم بالليل والنهار .. وهم بذلك مأجورين من الله عز وجل قال الرسول (ﷺ) .

" من دل على خير فله مثل أجر فاعله " (١) .

وكما جاء في الحديث الشريف :

" فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم " (٢) .

مما لا ريب فيه أن كل هذا يجعل الداعية حريصاً على أن لا يفلت واحد من بين يديه وعلى ذلك يكون الداعية حبيب الله كما قال الحسن البصري رضي الله عنه عندما قرأ الآية آنفة الذكر قال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلي الله أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلي ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحاً في إجابته ، وقال إنني من المسلمين هذا خليفة الله " (٣) .

---

١ - صحيح مسلم ك الإمارة ج ٣ ص ١٥٠٦ رقم الحديث ١٨٩٣ .

٢ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ك المغازي ج ٧ ص ٤٧٦ رقم الحديث ٤٢١٠ وحمر النعم هي من ألوان الإبل المحمودة وقيل المراد خير لك من أن تكون لك فتصدق بها وقيل تقتنيها وتملكها انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ك المغازي ج ٧ ص ٤٧٨ .

٣ - تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٠١ .

فالداعية إلي الله تعالي يجب أن يلتزم أصول دعوته ويسلك مع الدعوة طريق الإقناع متبعاً في ذلك أسلوب المودة واللين والألفة والرحمة ومناهج الحكمة والموعظة الحسنة فيبشر ولا ينفر ، وييسر ولا يعسر بأسلوب هادئ وديع رقيق يفهم منه المدعو بأنك حريص ومشفق عليه ...

يقول سفيان الثوري : " لا يأمر بالمعروف ولا ينهي عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث :

١ – رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهي .

٢ – عدل بما يأمر ، عدل بما ينهي .

٣ – عالم بما يأمر ، عالم بما ينهي[١] .

لعلك تدرك هذه الروافد وأثرها على الفرد والجماعة فأنت رفيق تبشر ولا تنفر تفتح أبواب الأمل أمام الناس جميعاً .. خاصة طلاب العلم فلا تذلهم ولا تغشهم ولا تخدعهم ولا تمكر بهم كما يفعل بعض من أهلوا أنفسهم للدعوة وهم لم يلتزموا منهجها الصحيح فهم دعاة على أبواب جهنم لأنهم يصدون عن سبيل الله ويقنطون الناس من رحمة الله عز وجل ، نتيجة لفهمهم الخاطئ ... إنها حالات شاذة ولكن يجب أن تزول من مجتمعنا وأذكركم ونفسي بتوجيه الرسول الكريم (ﷺ) الذي يقول فيه :

" أمرني ربي بتسع :

---

١ – تذكرة الحفظ للإمام الذهبي ج ١ ص ١٩٨ .

١ – خشية الله في السر والعلانية .

٢ – كلمة العدل في الغضب والرضا .

٣ – القصد في الفقر والغنى .

٤ – أن أصل من قطعني .

٥ – أعطي من حرمني .

٦ – اعفوا عمن ظلمني .

٧ – أن يكون همي فكرا .

٨ – نطقي ذكرا ونظري عبرة .

٩ – أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر "[١] .

" فقد علمنا من هذا أن أمة الوسط إذا أرادت أن تنصب نفسها لمهمة أمر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر يجب أن يكون كل فرد منها متحليا في حد ذاته بهذه الصفات ، فإنه لا يمكن القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحقيق مقتضيات هذا المنصب الخطير إلا بعد التحلي بهذه الصفات "[٢]

**من تجاربي الشخصية :**

رأيت بعيني من يخلع نعليه ويضرب الأولاد الذين يلعبون الكرة أمام المسجد ليصلوا صلاة المغرب فماذا تفعل مع هذا المتوحش ؟؟ هل هذا يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ؟؟ هل

---

١ – تذكرة دعاء الإسلام للمودودي ص ٣٩ .

٢ – المصدر السابق والصفحات .

ثبت هذا العمل في القرآن أو السنة اضربوهم عليها لسبع هذا في أبنائك أنت وليس في شباب الأمة في الشارع العام وأنت تدعوا إلي الصلاة بضرب النعلين إن هؤلاء بالغين يحتاجون إلي التعقل وأخذ الأمور بعقلانية وإقناع لكن هذا الجهول فرق الشباب وهم يكتمون غيظهم خشية السوط لكنهم لو انفردوا به لقتلوه دفاعاً عن أنفسهم وكرامتهم إن هذه القسوة طمست الرحمة والعطف واللين في قلوب هؤلاء الشباب .

وهذا موقف يمثل صخرة عاتية تعرقل مسار الدعوة ومن أسف أن أقول عن صاحب هذا الموقف أنه يظن أنه يحسن صنعا .. أين رحمة الصغير في الإسلام أين الرفق مع الجهلاء .. أين تعليم الطلاب .. والشباب .

هنا يتوارى الإيمان كما توارت الأخلاق ولا ريب أن من فعل هذا بمسلم لم يخالط الإيمان قلبه .. يا رب سلم يا رب حسبي الله ونعم الوكيل .

**وتطاوعا ولا تختلفا :**

هذه هي الوصية الثالثة للدعاة .

**التطاوع :**

إذا كان أعداء الإسلام على قلب رجل واحد فحري بالدعاة أن يتحدوا حتى لا يعطوا الفرصة لأعدائهم .. في الانتقام منهم

ولا يعني التطاوع ذوبان الشخصية وإنما يعني التكامل .. ولكل رأيه .. مع احترام رأى الآخرين وتقدير جهودهم ...

يتعرض الدعاة لإلقاء محاضرات أو مناقشات علمية .. قافلات للدعوة ... سفرا قاصدا .. وما شابه ذلك فلابد وان تسود هذه الجلسات العلمية روح التحاب والإخاء .. والتواد .

وعلينا أن نتبع التوجيه النبوي حتى لا نضل يقول الرسول (ﷺ): " .. وإذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم ولا تفرقوا "

فعلينا أن نتعاون على البر والتقوى ونتعاون على نشر الفضيلة والخير وعدم الإفساد في الأرض .

وعلى الدعاة إذا اجتمعوا في مجلس أن لا يختلفوا أمام الناس .. فهذا بلا شك يشيع العداء في المجتمع .. ويبث الفساد .. مما يكون له أثره السيئ على الفرد والمجتمع والأسرة والدولة وبالتالي على الأمة وعلى الشعوب عامة .. فعلينا أن نتجنب المسائل الخلافية كي نجمع ولا نفرق وإذا رأيت ظلما وقع على بعض الناس فكن شجاعاً ولا تخش في الحق لومة لائم مع بغضك عملاً بقول الحق تبارك وتعالي :﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (١)

**لماذا أرسل الرسول (ﷺ) داعيان ؟؟**

الداعيان لازمان في المواقف الشائكة بخلاف ما إذا كان الجمع مسلماً ويراد وعظه فيكفي الواحد .. ولابد أن يمثل كل واحد منهما جانباً مهما وقدرات خاصة تلتقي مع زميلتها حتى يتحقق للدعوة النجاح .. ونحن لا نلزمهم بالعصمة ولكن نطالبهم

---

١ – سورة المائدة آية ٨ .

بأن يكونوا قدوة وإن حصل خلاف مذموم بينهم أساسه الحقد والكراهية والبغضاء فهم بذلك أبعد عن دائرة الدعاة والدعوة .

**خطر التفرق :**

إن الإسلام يجمع ولا يفرق قال عز شانه : ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ (١) .

ويقول تعالي لنبيه محمداً (ﷺ) : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٢) .

وقال عز وجل : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣) .

فإذا كان هذا توجيه الله عز وجل لنا فالواجب علينا أن نأخذ بهذا التوجيه .. وإلا فلا يرضي بهذه التفرقة إلا الشيطان وأعداء الإسلام ، فالحذر الحذر من التفرق .

**موقف الأمة الإسلامية اليوم :**

الأمة الإسلامية تمزقها الاختلاف في عصر هو عصر التكتلات .. والتى تدعو كل أمة لمذهبها .. وبكل ما تملك من

١ - سورة المؤمنون آية ٥٢ .

٢ - سورة الأنعام آية ١٥٩ .

٣ - سورة الشورى آية ١٣ .

إمكانات ... ومن أسف أن أقول إن الأمة الإسلامية تنقسم إلي شيع وأحزاب ..وفرق..والعقيدة الإسلامية ولا تفرق ولا تتزعزع من قلب المسلم أبداً بدليل قوله تعالي : ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ (١) . ﴿ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ (٢) .

والذي كتبه الله عز وجل لا يمحي أبداً فلو اجتمعت قوي الأرض على أن يغيروا عقيدة المسلم ما استطاعوا إلي ذلك سبيلاً .. ذلكم لأن الدين لازم للبشر وضرورة حياتية لهم ثم إن الإنسان مفطور على معرفة الله (ﷻ) وعلى التوحيد الصحيح ولكن كما قال الرسول (ﷺ) فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه ...

**التحذير من الاختلاف :**

أفلح إبليس اللعين في التحريش بيننا حتى جعلنا أمة ممزقة وصدق فينا قول الرسول (ﷺ) : " وستفرق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة "

وقوله (ﷺ) " إن الشيطان يئس أن يعبد في جزيرة العرب ولكنه لم ييئس في التحريش بينكم "

**اختلاف الصحابة :**

وهذا الخلاف كان على عهد الرسول (ﷺ) في خير القرون والرسول بين ظهراني الصحابة وها هي مشكلة القضاء والقدر

---

١ – سورة النحل آية ١٠٦ .

٢ – سورة المجادلة آية ٢٢ .

فحينما خرج الرسول (ﷺ) من بيته ووجد الصحابة يتناظرون ويقولون ألم يقل الله كذا ...

فقال لهم الرسول أبهذا أمرتم " إنما هلك من كان قبلكم ضربوا كتاب الله بعضه بعضاً وجئتكم بكتاب يصدق بعضه بعضاً فما أمرتكم به فافعلوه وما نهيتكم عنه فاجتنبوه ...

**ومن هنا :**

الرسول (ﷺ) يتوقع الفرقة بين المسلمين فقال لهم مخاطباً وموجهاً ومرشداً ..

لتأخذن حذو القذة بالقذة .. والفعل بالفعل .. حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .. وضرب لهم مثالا

**تجربة علمية :**

خط الرسول بيده الشريفة (ﷺ) خطوطاً فيها اعوجاج .. وانحراف وقال كما جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : " ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعن جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعند رأس الصراط داع يقول :

استقيموا على الصراط ولا تعوجوا ...

وفوق ذلك داع يدعوا كلما هم عبد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال ويلك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه ثم فسره فأخبر أن الصراط هو الإسلام وأن الأبواب المفتحة محارم الله ، وأن الستور المرخاه حدود الله ، والداعي على رأس الصراط هو القرآن والداعي من فوقه هو واعظ الله في قلب كل مؤمن "

وصدق الله إذ يقول : " وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون " (١) .

نعم هناك تخطيطات مناهضة للإسلام في كل عصر ومصر .. لكن عقيدة المسلم راسخة ولو اجتمع على خلعها .. طواغيت الأرض جميعاً ما استطاعوا إلي ذلك سبيلاً .

## سنة الاختلاف

ما دامت هناك أمزجة متباينة ووجهات نظر متعددة وأمور متناقضة فلابد وأن ينشأ الاختلاف إذا فمن طبيعة البشر الاختلاف ولو أراد الله لأمة أن تنجو من الاختلاف لكان الأولي بذلك الأمة الإسلامية لكن هذا الاختلاف من طبيعة البشر وصدق الله إذ يقول : ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾

إذ لا عصمة لأمة من الاختلاف على الإطلاق . المسلمون اليوم مختلفون ولا يتحدون فيما بينهم ضد أعدائهم وانطبق عليهم قول القائل أسد على وفي الحروب نعامة وعلى العكس من ذلك تماماً أعداؤنا فهم يختلفون فيما بينهم لكنهم يتحدون ضدنا وعلينا

**الطريق إلي الإصلاح :**

١ – تصحيح العقيدة الإسلامية عند المسلمين ...

---

١ – سورة الأنعام آية ١٥٣ .

٢ – إصلاح الأخطاء التي أدت إلي تمزيق المسلمين فرقاً وأحزابا ........

٣ – الصلح مع الله عز وجل .. باتباع أوامره واجتناب نواهيه .

٤ – يقول الإمام أحمد رحمه الله تعالي : " الناس يحتاجون إلي مدارة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلاً مباينا معلنا بالفسق فلا حرمة له .....

**ويقول أيضاً :** وكان أصحاب بن مسعود إذا رأوا قوماً يرون فيهم ما يكرهون يقولون مهلاً رحمكم الله مهلاً رحمكم الله " (١) .

فهل امتثل الدعاة هذا التلطف في الدعوة ... واللين في القول أم انهم ينصبون الشباك .. بعضهم لبعض .. أين حسن المعاملة ؟؟

أين الحكمة في الدعوة ؟؟

لاحظ الدعاء المذكور في قول بن مسعود رحمكم الله .. فالداعية ينبغي أن يكون حريصاً على هداية المدعو .. ويدعو له بإخلاص كي ينجح في دعوته ...

**دكتور**
**نجاح عبد الله البياع**
**أستاذ الدعوة والخطابة المشارك بالكلية**

١ – تغيير المنكر بين الإفراط لابن رجب الحنبلي ص ٧٢ تحقيق إيهاب عنث – دار الكتاب العربي .

## من مراجع البحث

القرآن الكريم .

١. أصول الدعوة د / علي جريشه – دار الكتب العلمية بيروت

٢. أديان العرب قبل الإسلام نجاح عبد الله – حولية كلية أصول الدين العدد ( ١٧ ) .

٣. الإصابة لابن حجر العسقلاني – مؤسسة الرسالة .

٤. إحياء علوم الدين – عيسى الحلبي وشركاه .

٥. تغير المنكر بين الافراط والتفريط لابن رجب الحنبلي – دار الكتب العلمية بيروت

٦. تفسير الشيخ القاسمي – دار إحياء الكتب العربية .

٧. تذكرة دعاة الإمام للمودودي – دار القلم .

٨. تفسير النسفي – عيسى الحلبي وشركاه – دار إحياء الكتب العربية

٩. تذكرة الحفاظ للإمام الذاهبي – دار الفكر – دمشق .

١٠. التفكير الديني في العالم قبل الإسلام – د/ عوف شلبى – دار الثقافة – الدوحة .

١١. تفسير بن كثير – طبع بدار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي .

١٢. زاد المعاد لابن القيم مكتبة السلام العالمين .

١٣. سنن الإمام الترمذي – دار الجيل بيروت .

١٤. صحيح البخاري – طبعة دار الحديث .

١٥. صحيح مسلم – مكتبة دار التراث .

١٦. الطبقات الكبرى لابن سعد – مكتبة دار التراث .

١٧. السيرة لابن هشام – دار الفكر العربي .

١٨. فتح الباري لابن حجر العسقلاني – دار المعرفة .

١٩. مسند الإمام احمد – دار القلم .

٢٠. مجلة الأزهر .

٢١. مختصر تفسير البغوي – طبعة وزارة الأوقاف السعودية .

٢٢. مستدرك الحاكم – مكتبة دار التراث .

٢٣. نظرات في سورة نوح د / نحاح عبد الله – حولية كلية أصول الدين العدد ( ٢٠٠٢ ) .

٢٤. مع الله دراسات في الدعوة والدعاة من الغزالي – الطبعة الأولي .

# الفهرس

# الفهرس